إهداء

إلى كل القابضين على الجمر.

الطريق طويل وشاق ولا يجتازه إلا مؤمن بقضيته.

مصلح الهباهبه

obeikandl.com

تقديم

كثيرون وأنا منهم يؤمنون بأن مواجهة الفكر تبدأ بالفكر نفسه، وليس بالسلاح وحده، فـ « نفايات العالم » تجمعت في فلسطين المحتلة بدعوى أنها « أرض الميعاد »، وهي فكرة استندت إليها الحركة الصهيونية في خداع اليهود، وفي إقناع المجتمع الدولي بأحقيتهم في احتلال الأراضي الفلسطينية، وإقامة « تجمع » صهيوني، ما يحدو بنا إلى دحض هذه الأفكار المغلوطة، بالتوازي مع المقاومة المشروعة، فمواجهة الفكر بالفكر والمقاومة خطان متوازيان !

فالمتتبع لكتاب « العهد القديم » منذ بدايته يجد حالة من التأصيل والترسيخ لفلسفة الحرب لدى أصحاب الفكر الصهيوني، وهي الفلسفة القائمة على اغتصاب حقوق الآخرين، فثمة دعوى تؤكد بأن العقيدة الصهيونية تطبَّع برباط وثيق بين «حرب إسرائيل»، و «رب إسرائيل»، حينما يصبح هذا الرب هو «رب الجنود»، الذي يمهد للصهاينة

السبيل لتحقيق مآربهم في الغزو، والاحتلال، وطرد الشعوب.

خيراً فعل الصديق مصلح الهباهبه، حينما تتبع « جذور الإرهاب في النص التوراتي » للإجابة على كل القابضين على الجمر، الذين يعلمون أن عدوهم الصهيوني يستند في اغتصابه للأرض والمال والعِرض على نصوص توراتية، وفتاوى جديدة ـ قديمة تُشرِّع مزاعم الصهاينة في فلسطين، وهي الفتاوى التي تتجدد عند كل عملية عسكرية، أو حرب صهيونية جديدة، وكأن الحاخامات الصهاينة يجددون أمل هؤلاء « النفايات » في البقاء على الأراضي العربية، بدعاوى دينية!

استهل الهباهبه كتابه الجيد بالإجابة المباشرة على طرحه المهم : « لماذا هذا الكتاب ؟! »، بأن العنصرية والتمييز وفكرة إبادة الأخضر واليابس، وقتل الآخر من الأغيار، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكر التوراتي، وهي الأفكار التي يعتقدون أنها أمر إلهي، وعبادة يتقربون بها إلى ربهم.

وبدعوى تحقيق وعد الرب، على اعتبار أن كل جريمة يرتكبها الصهاينة لها ما يشرعنّها، فإن النصوص التوراتية التي أكثر الهباهبه في الاستشهاد بها يعدها قادة وزعماء الصهيونية قوانين شرعية، كشريعة مقدسة لاستئناف البعث الإسرائيلي في فلسطين، ومصادر للوحي بمثابة « دروب » يهتدي بها الصهاينة في مواجهتهم للفلسطينيين، وقوانين تلفحّوا بها، فعدّوا « الإرهاب » سلاحاً وعقيدة دينية، ما لبثت أن أصبحت سلاحاً تقتحم به المجتمعات الأخرى، وتخترقها من خلاله !

ولكم أسعدني الزميل الهباهبه في اعتماده في مصادره ومراجعه المهمة على كتابي « شريعة الملك .. شريعة قتل الأغيار »، المترجم عن اللغة العبرية، والصادر عن مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، قبل عدة سنوات، دون سابق معرفة، وهو الكتاب الفاضح للكيان وقياداته، خاصة وأنه يبيح قتل الأطفال الرُضَّع من الأغيار بدم بارد، والمستند على مئات النصوص التوراتية، والفتاوى الدينية اليهودية.

أوجز العزيز الهباهبه فأنجز في كتابه المهم، والذي يأتي في وقت نحن أحوَّج إلى خروج مثل هذه الكتب التي تحمل أفكاراً قوية تفنِّد فيها الإدعاءات الصهيونية، وتكشف الوجه القبيح للفتاوى اليهودية، إذ نحن أمام كتاب يعد أحد روافع الهمة الإسلامية لمواجهة المزاعم الإسرائيلية المتوالية.

د. خالد سعيد

كاتب وباحث في الشؤون الصهيونية والترجمة من العبرية

مقدِّمة : لماذا هذا الكتاب؟

أولاً: لأن الديانة اليهودية والقوى الدينية لعبت وعلى امتداد الفترة الممتدة من العام ١٨٩٧ وحتى الآن دوراً بارزاً في التأسيس وقيام واستمرار الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين، وكان منطلق الولاء الأول للكيان لديهم نابع من معتقداتهم الدينية، التي تصور لهم أن هذا الكيان هو التطبيق العملي لاستمرارية الوعد الإلهي لليهود باعتبارهم شعبه المختار، وبأن أرض فلسطين هي قلب هذه الأرض، وهذا ما حاولت حكومة بنيامين نتنياهو تثبيته سنة ٢٠١٤بعد إقرارها مشروع قرار يهودية الدولة .

وثانياً: هو ثمرة قراءة متأنية وطويلة للتوراة استمرت أشهراً طويلة في العام ٢٠٠٠ م، وجمعت ملخصاً لها آنذاك نشرته في مقالين في مجلة البلاد اللبنانية باسم «بلال أحمد»، الأول تحت عنوان: «نصوص التوراة تدحض مزاعم الصهيونية»، نُشر بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٠٠، والثاني تحت عنوان:

«الإبادة وقتل الأطفال في الفكر التوراتي»نشربتاريخ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٠، واكتشفت لاحقاً منذ سنوات قليلة قيام بعض الأشخاص بإعادة نشر المقال الثاني كاملاً أو أجزاء منه على شبكة الإنترنت بأسمائهم، وبلغت الوقاحة بهم أنهم لم يكتفوا بسرقة متن المقال، الذي قد يفسر على أنه توارد أفكار، بل سرقوا مقدمته أيضاً، ولكنهم وقعوا في شر سرقتهم، إذ كانت في المقال أخطاء طباعية طاولت أرقام الإصحاحات والآيات ،فأعادوا نشر الخطأ، ويمكن الرجوع للمقال كما نشر في مجلة البلاد بما فيه من أخطاء في الملحق (٢) في نهاية هذا الكتاب، وربما يتوجب عليّ شكر كل من سرق المقال لأنه حفزني من حيث لايدري على العمل لإخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، ولهذا سأبدأ مجدداً باستخدام الجملة الأولى من مقدمة المقال الثاني في بداية مقدمة هذا الكتاب.

لم ترتبط نظرية وفكرة العنصرية والتمييز، وكذلك الإبادة وقتل الأطفال، بأي دين أو فكر وضعي، كما ارتبطت بالفكر التوراتي، الذي بدأ أتباعه ممارسة العنصرية والتمييز وارتكاب المجازر بكل أنواعها ومسمياتها منذ أيام النبي موسى وحتى الآن، كلما سنحت لهم الفرصة، باعتبارها أمراً وحقاً إلهياً مُعطى لهم، وعبادة يتقربون بها من ربهم وأنبيائهم الذين حرضوهم على القتل والعنصرية تجاه الآخر مهما كان، وبغض النظر عن عدائه لهم أو لا، وينطلق اليهود في ممارسة دينهم كما جاء في التوراة من ثلاثة منطلقات هي:

أولاً: العنصرية: المنطلقة من العقيدة اليهودية المؤسسة على اعتبار اليهود شعب الله المختار الذي اصطفاه دون سائر الشعوب والأمم، فاليهودي «ابن الله»، وكل من يتعرض له يكون عقابه الموت كما قتل موسى القبطي الذي ضرب 'لإسرائيلي،وعليه قسّم اليهود البشر إلى يهود «أبناء الله» المصطفين، وغير يهود الأغيار «غوييم» الذين

خلقهم الله على هيئة إنسان، ليكونوا خدماً لائقين لخدمة اليهود الذين خلق الله الدنيا لأجلهم، وهذا ما جاء في التوراة في سفر التثنية (١٤: ١-٢):

«أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ. لاَ تَخْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ، وَلاَ تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لأَجْلِ مَيْتٍ. لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ».

ثانياً: مقولة أرض الميعاد التي وعد الرب بها اليهود، وهي تشمل حسب التوراة الأرض الممتدة بين نهر مصر «النيل» ونهر الفرات في العراق، وأرض فلسطين في القلب منها، وعد إلهي أعطاه الرب لليهود منذ إبراهيم وكرره لكل أنبيائهم وملوكهم، كما جاء في سفر التكوين (٢٨: ١٣-١٥) حين رأى يعقوب ربّه في المنام فقال له:

«...أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ»،

وفصله في سفر يشوع (١: ٢-٤):

«مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ هذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعِ أَرْضِ الْحِثِّيِّينَ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخْمُكُمْ».

ثالثاً: الحرب والقتل والتدمير تجاه كل ما هو ليس يهودياً، وقد حفل التوراة بعدد كبير من الآيات التي تحض على ارتكاب المجازر بحق البشر والحجر والشجر، وما مجزرة أريحا ونابلس وعاي وحاصور إلا بعض الأمثلة على المجازر التي ارتكبها اليهود بحق غير اليهود، وفي سفر يشوع (١٠: ٤٠-٤٢) ذكر واضح للإبادة التي قام بها يشوع:

«فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ لهُ إِسْرَائِيلَ. فَضَرَبَهُمْ يَشُوعُ مِنْ قَادَشَ بَرْنِيعَ إِلَى غَزَّةَ وَجَمِيعَ أَرْضِ جُوشَنَ إِلَى جِبْعُونَ. وَأَخَذَ يَشُوعُ جَمِيعَ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ وَأَرْضِهِمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ».

وأخيراً فإن جذور العنصرية والإرهاب المستمدة من النصوص التوراتية، وجدت تطبيقاتها العملية في الحقب السابقة التي كان فيها لليهود وجود مؤثر وفاعل، وعادت للبروز مع بدايات إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين، وتستمر حتى اليوم، بأشكال متعددة وتحت ذات الذرائع والتبريرات التوراتية، التي تؤمن الغطاء لكل ذلك، وإذا كنت قد أطلت في المقدمة، إلا أنني اعتمدت في الكتاب على قاعدة قليل من الكلام، كثير من الآيات والشواهد التوراتية، بما يخدم الهدف من الكتاب وتعميماً للفائدة.

وفي الختام لا بد من الإشارة وقطعاً لأي تأويل أو تفسير لما ورد في هذا الكتاب، فقد تعاملت مع النص التوراتي المكتوب والمتداول كما هو، بعيداً عن الجدل القديم والدائم حول صحة ما فيه من عدمه، ما اقتضى التنويه.

مصلح الهباهبه